

الآخر اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة -دراسة في نماذج-

The Jewish Other in the Contemporary Algerian Novel - A Study of Models

الدكتورة: حميدة سليوة المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف ميلة (الجزائر) hamida.slioua@centre-univ-mila.dz

تاريخ النشر: 2023/06/30

تاريخ القبول: 2023/04/01

تاريخ الاستلام: 2023/04/13

ملخص: يتناول هذا المقال المعنون ب: الآخر اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة-دراسة في نماذج مختارة- موضوع صورة الآخر في الأدب الوطني، وهي واحدة من اشتغالات الدراسات الأدبية المقارنة، والباحثة عن تشكل صورة الغير في المخيال الأدبي، وما لهذه الصورة من انعكاسات وتمظهرات على الأدب وأساليبه وقد اختيرت الرواية الجزائرية كنموذج للدراسة التطبيقية مع نموذجين هما: الحبيب السايح وروايته "أنا وحاييم"، وأمين الزاوي برواية "الخلان"، وهما روايتان معاصرتان، فكيف جاءت صورة الآخر اليهودي في الروايتين، وهل تعبر صورة اليهود عند كليهما عن مشاعر الجماعة، وما هي دلالات حضور الشخصية اليهودية في الرواية الجزائرية المعاصرة ينقسم المقال إلى مقدمة وجانب نظري يتناول مفاهيم الآخر والصورة ودراساتها وأنماطها، وجانب تطبيقي يبحث في تمظهرات صورة اليهودي في الرواية الجزائرية، ثم خاتمة بأهم النتائج وقائمة المراجع المعتمدة، معتمدا المنهج الموضوعاتي في التحليل باحثا عن تشكلات النماذج البشرية المشكلة لصورة اليهودي.

الكلمات المفتاحية: صورة الآخر، اليهودي، الرواية الجزائرية المعاصرة، أمين الزاوي، الحبيب السايح

Abstract:

This article, entitled: *The Jewish Other in the Contemporary Algerian Novel - A Study of Selected Models* - deals with the subject of the image of the Other in national literature, and it is one of the preoccupations of comparative literary studies, looking for the formation of the image of others in the literary imagination, and the reflections and manifestations of this image on literature. The Algerian novel was chosen as a model for applied study with two models: Al-Habib Al-Sayeh and his novel "I and Haim", and Amin Al-Zawi in the novel Al-Khelan, and they are two contemporary novels, so how did the image of the Jewish other come in the two novels, and does the image of the Jews in both express the feelings of the group, and what are the connotations. The presence of the Jewish character in the contemporary Algerian novel

The article is divided into an introduction and a theoretical side that deals with the concepts of the other and the image, its studies and patterns, and an applied side that looks at the manifestations of the image of the Jew in the Algerian novel, then a conclusion with the most important results and a list of approved references, relying on the thematic / Nahd in the analysis, looking for the formations of human models that form the image of the Jewish.

Keywords: The image of the other, the Jew, the contemporary Algerian novel, Amin Zaoui, Habib Sayeh.

1- مقدمة:

شغلت الدراسات النقدية في الآونة الأخيرة بدراسة صور الشعوب في آداب غيرها، خاصة في مجال الأدب المقارن؛ حيث تدخل مثل هذه الدراسات في ما يسمى بدراسات التأثير والتأثير، وهو موضوع الدراسة المقترحة الموسومة بـ "الآخر اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة"، وعليه كانت الإشكالية الرئيسة فيها حول كيفية تشكل الشخصية اليهودية باعتبارها آخرًا في الرواية الجزائرية المعاصرة، بادئة بمهاد نظري يتناول مفهوم الآخر بين اللغة والاصطلاح وعلاقته الجدلية مع الأنا وبعدها تتناول صورة الآخر ودراستها في المجال المقال، قبل أن تعرج إلى الجانب التطبيقي، متخذة من روايتي "أنا وحاييم" للحبيب السايح و"الخلان" لأمين الزاوي، مطبقة منها موضوعات يتتبع النماذج الإنسانية وتشكلاتها في النص الروائي

2- الآخر في اللغة والاصطلاح:

2-1- لغة: تعددت التعاريف اللغوية لـ "الآخر" نذكر من بينها ما جاء في لسان العرب: «الآخر بالفتح أحد الشيئين، وهو اسم على أَفْعَلُ والأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة، لأن أَفْعَلُ من كذا لا يكون إلا في الصفة، والآخر بمعنى غير كقولك: رَجُلٌ آخر وثوب آخر، وأصله أَفْعَلُ، وتصغير آخر أو أخير، جرت الألف المخففة عن الهمزة مجرى ألفا ضارب، وقوله تعالى: «فأخراهم يقومان مقامهما» فسرهم ثعلب فقال: فمسلمان يقومان مقام النصرانيين يحلفان أنهما أختانا، ثم يرتجع إلى النصرانيين وقال الفراء: معناه أو أخراهم من غير دينكم من النصارى والمهود»¹، ويبدو المعنى محصورا في المختلف في العرق والدين واللسان.

أما في القاموس المحيط فقد ورد: «الآخر بفتح الخاء بمعنى غير والجمع بالواو والنون

وآخر»²، والآخر: «أحد الشيئين ويكون من جنس واحد، وبمعنى غير الشيء»³، ولا يحيد المعنى عن ما جاء به ابن منظور من كون الآخر هو الغير والمختلف، فهو آخر وهم مختلفون فهم آخرون، أما في منجد اللغة والأدب والعلوم فقد جاء بمعنى: «أُخَرَ وأخريات: بمعنى غير، ومن الكناية

(أبعد الله الآخر) أي غاب عنا وليس من»⁴، فمن خلال هذه التعاريف يتبين لنا أن الآخر هو نقيض الأنا والمختلف عنه، سواء في الجنس أو الصفة أو غير ذلك، والآخر يحمل لغويا معنى الاختلاف أو في بعض الأحيان النقيض والضد، من خلال عدة صفات وخواص أهمها اللغة والعرق والدين.

2-2- اصطلاحا:

الآخر لفظة قديمة قدم وعي الإنسان باختلافه عن غيره، وقد مرت بعدة تغيرات فانتقلت من كونها لفظة إلى مصطلح في العلوم الإنسانية، اختلفت معانيه وتعددت دلالاته، حيث تشير لفظة الآخر في علم النفس إلى: «مجموعة السمات والسلوكيات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي ينسبها

فرد ذات أو جماعة إلى الآخرين مما يحيل إلى أن الآخر حاضر في المجال العام للهوية»⁵، أي أنه كل ما تراه الذات خارجها وتنسبه إلى الآخرين، ويرى فرويد أن: «"الهو" هو ذلك القسم في الجهاز النفسي الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة، وما هو ثابت في تركيب البدن، وهو يحوي الغرائز التي تنبعث من البدن، كما يحوي العمليات النفسية المكبوتة التي فصلتها المقاومة عن الأنا»⁶، فمن وجهة النظر الفرويدية أن الآخر "أنا" ثانية قد تتشابه وقد تختلف وقد تكون هجينة بين الاثنين، والهو إذا جزء فطري مكتسب ويطيع الهو "مبدأ اللذة" وهو لا يراعي المنطق أو الأخلاق.

أما عند الفلاسفة فقد تعددت الرؤى حول الآخر ومفهومه، فهو مرتبط عند مارتن هايدغر: «بالسقوط وهذا الآخر قد رمي به في هذا العالم فسقط فيه فلا نملك إلا التسليم به، وهذا السقوط لا ينطوي على معنى من معاني الذم، بل هو أمر إيجابي، إذ بغيره ما كان يمكن وجودي أن ينكشف ولولاه لظل وجودي في إمكانيات الوجود لا نهاية لها، أي أن سقوطي معناه "خروجي عنه»⁷، وفي هذا القول يرى هايدغر أن السقوط هو تواجده في هذا العالم مع الآخر، ومنه تحققت وانبثقت كينونته التي لا تتحقق إلا بوجود الآخر.

كما احتل موضوع الآخر موقعا بارزا في علم الاجتماع والذي استخدمه لما له من أهمية في تشكيل البناء الاجتماعي، حيث لا يمكن الحديث عن الآخر في علم الاجتماع دون ربطه بالأنا في: «العلاقة الاجتماعية بين الأنا والآخر لا تتحقق إلا عن طريق استيعاب الذات، والتي بدورها لا تتحقق إلا بالتعامل مع الآخرين ومحاولة فهمهم، ذلك أن الأنا لا يمكن أن يكون بمعزل عن الآخر»⁸، فعلاقة الأنا والآخر في علم الاجتماع علاقة وطيدة، وترابطها ضرورة حتمية لا تتحقق إلا من خلال التفاعل والتوافق بينهما فالذي يؤدي إلى الاستقرار هو التكامل الاجتماعي.

نخلص من خلال ما سبق إلى ما خلاص إليه الذي يرى بأن الآخر عبارة عن مجموع السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما، أو جماعة ما إلى الآخرين.

3- الآخر والأنا "العلاقة الجدلية":

ارتبطت العلاقة التي تجمع " الأنا " " بالآخر " بعدة ثنائيات، ك: التراث والحداثة، الشرق والغرب، اندرجت ضمن سياقات تاريخية وفكرية موسومة تارةً بالإخضاع والتبعية، وتارةً بالانهار والإعجاب، الأمر الذي يجعل العلاقة بين " الأنا " و " الآخر "، جدلية قائمة في الحياة، فلا وجود " لأنا " من دون " آخر " ولا " آخر " من دون " أنا "، فعلاقة وجودهما إلزامية سواء أكانت علاقة تنافر أم تجاذب، فبالأنا يُعرف الآخر وبالأخر نحاول فهم الأنا، لدرجة أنهما أصبحتا: «ذاتان منفصلتان متصلتان في الوقت نفسه مفترقتان ومتحدتان [...] فلا تكون الذات إلا بوجود الآخر وهذه بديهية ربما باستثناء الذات المطلقة ذات الإله، والأمر بمجمله يشبه صفحتي ورقة لا يمكن فصل أحدهما

عن الآخر»⁹، أي أنّ علاقة هاتين الثنائيتين هي علاقة إلزامية، فصور الذات لا تتكوّن بمعزل عن صورة الآخر، كما أنّ صورة الآخر تعكس بمعنى صورة الذات.

تصبح بهذا عملية نفي " الآخر " نفيًا " للذات " في الوقت نفسه، لأنّ الآخر مكمل " للذات"، ومن يختزل " الآخر " يختزل ذاته، ذلك أنّ الذات المتعددة تتطلب وجود آخر متعدد. وبناءً على ما سبق يمكننا القول إنّه من الصعب تحديد مفهوم دقيق " للأنا " و " الآخر "، ولا تتم معرفة أنا / آخر من دون اختزالهما أي أنّ إحدى الإشكاليات، التي تمنح القطبية الأحادية لأنا ما أو آخر، هي أنّ هذا الذي تطلق عليه الأنا آخر غير واضح مثلها تماماً، ولا يوجد في سمة محددة، بل يستحيل تحديده إلاّ بتشويهه واختزاله.

لا يمكن تجاهل الدور الذي يقوم به "الآخر" بشأن تصوّر الذات لذاتها، ولا يمكن تجاهل الصراع الذي يحصل بينهما سواء بوجهه الإيجابي أو السلبي، فإشكالية العلاقة مع الغرب لا تزال تأخذ بعداً مزدوجاً فهي بحث وتأمل في " الأنا " وفي " الآخر "، فقد وصل العرب إلى أنّ هذه العلاقة باعتبارها ناتجة عن ردّ فعل دفاعي اتجاه سطوة واندفاع الغرب؛ لذلك لابد أن تمرّ بالضرورة عبر التفكير في الذات ومن ثمة العودة إلى التراث والبحث فيه، إمّا من أجل تمجيده أو من أجل تصفية العلاقة معه والتنكّر له.

4- الآخر " في دراسات الصورة المقارنة:

يعد الأدب المقارن ذلك العلم الذي يميّز الشخصية القومية للأمة، ويوضّح ملامحها توضيحاً كاملاً وذلك بالتمييز بين نتائجها وتراثها الأصيل، وبين ما استعارته من التيارات الأدبية، والأجناس والمذاهب المختلفة، ومع تطوّر النصوص وظهور نوع أدبي جديد موسوم بـ أدب الرحلة، أزال غموض " الآخر "، فلم يعد يتسم بالضبابية التي كان عليها من قبل، فأصبحت صورة شعب لدى شعب آخر ظاهرة للعيان، لهذا جاء ما يسمى بعلم الصورة المنبثق من الأدب المقارن. نظراً للتلازم

والارتباط الوثيق بين هذين الكيانين: «كل صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلاً بالأنا بالمقارنة مع الآخر وبهنا بالمقارنة مع مكان آخر، الصورة هي إذن تعبير أدبي عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي»¹⁰ ، وعليه يستجوب مقارنة صورة شعب في أدب شعب آخر، أو صورة شعب في أعمال أديب، باستدعاء مواطنين ولغتين مختلفتين حتى تتحقق المقارنة بين "الأنا" و"الآخر".

4-1-أنواع الصورة: تنقسم صورة الشعوب إلى قسمين :

أ-صورة شعب في أدبه : وهذا النوع من الدراسات لا يتعدى إطاره القومي واللغوي فهو إذن: « يبحث فنيات الأديب في طرق موضوعه أو فنيات الأدباء في تناول الموضوع بالوصف والتحليل مثل: صورة الفرنسيين في أدبهم أو صورة المرأة الألمانية لدى أديب ألماني، أو صورة المرأة

المصرية في روايات نجيب محفوظ أو في الأدب المصري عموماً»¹¹ ، وهو النوع الذي تكون فيه "الأنا" صورة "للأنا" ذاتها وتنطوي هذه الصورة على بعد معرفي مؤثر إلى وعي الجماعة بذاتها بل يسهم في:«تشكيل هذا الوعي، فيصبح التعرف المصاحب لتأمل صورة المرأة مقدمة للفعل الخلاق، وباعثاً

على التغيير نحو الأفضل»¹² ، ليرى الشعب صورة نفسه، فيكتشف ما به من عيوب و يسعى إلى تصحيحها، وهنا تتجلى الوظيفة الحيوية للصورة وعمادها الصلة بين الأدب والشعب.

ب-صورة شعب في أدب شعب آخر: لعلّ من الضروري وجود نسبة من الاهتمام المشترك بين شعبين لكي يكون أحدهم صورة في أدبه عن شعب آخر، فالأهم:«لا تهتم إلا بالشعوب المجاورة لها أو التي تشترك معها في مسألة، أو أن يكون لها معها مصالح اقتصادية أو تريد كسب

ودها أو تخشى بأسها»¹³ ، وبذلك يكون هذا الاهتمام هو الدافع إلى رصد صورة علاقات شعوب متأثرة بشعوب أخرى، فالتأثير عامل مؤسس لتشكيل تلك الصور كيف لا وهو العمود الفقري في الأدب المقارن الذي ينتهي إليه هذا النوع من الدراسات، وإذا كان النوع الأول يرتبط أساساً بعامل اللغة ولا يخرج عن دائرة قوميته فإنّ هذا النوع من الموضوعات يتعدى الإطار اللغوي والمكاني فنجد:«صورة فرنسا في بريطانيا العظمى، صورة روسيا في الحياة الثقافية الفرنسية، صورة إيطاليا

في الأدب الفرنسي، صورة الجزائري في الأدب الفرنسي ... إلخ»¹⁴ ، والملاحظ أنّ هذا النوع من الدراسات يتكوّن من شقين:

أولاً: صورة شعب كما يصوره مؤلف ما من أمة أخرى: وتأتي هذه الصورة بعدما يتأثر أديب معين من شعبٍ بشعبٍ آخر، ونتيجة لتأثره يرسم صورة الشعب الذي تأثر به في أعماله الأدبية، مثل: «إسبانيا في أدب همنفواي، أو بريطانيا في أدب فولتير، أو صورة الشرق في أدب فيكتور

هوغو، أو إيطاليا في أدب ستاندال»¹⁵، وفي هذه الحالة يكون التركيز على حياة الكاتب ومدى صلته بالبلد المقصود ثم يبين كيف استقى معلوماته أو كيف رأى البلد رأي العين، وإلى أي حد كانت الصورة، التي رسمها لذلك البلد صادقة أو كاذبة.

ثانياً: صورة شعب في شكل أدبي معين لدى شعب آخر: وتنتج عن طريق تأثير شعب في آخر وتركيز أدباء الشعب المتأثر على تصوير الشعب المؤثر في فن أدبي معين كالرواية، أو القصة، أو

المسرحية، أو الشعر¹⁶، ومن الضروري تحديد الدراسة في إطار في أو قالب حتى يسهل التحليل والتصنيف على الباحث في صور الشعوب.

5- صورة الآخر اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة:

1-5- الآخر اليهودي في رواية أنا وحاييم لـ الحبيب السايح:

تسرد رواية "أنا وحاييم" لصاحبها الحبيب السايح صداقة أرسلان الجزائري المسلم بـ "حاييم" يهودي من الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي، وهي صداقة امتدت من الطفولة حتى الشباب، ولم تعكر صوفها اختلافات الدين والعرق، وحتى الاستعمار الذي كان يعامل اليهود معاملة مميزة ولا حتى حلم صهيوني اسمه "أرض الميعاد"، حيث يستعرض أرسلان ذكرياته المشتركة مع حاييم، حيث تشكلت تجاربهما في الحياة بين دراسة ثانوية وجامعة ومعتزك النضال الوطني، يظهر الحبيب السايح في روايته التمييز العنصري الذي عانته العائلات اليهودية والعربية في الجزائر من طرف العسكر والمعمرين، والتفافهم جميعاً حول الثورة المسلحة.

1-1-5- اليهودي الجزائري (ابن البلد):

يعود الوجود اليهودي في الجزائر إلى قديم الأزمنة، أي منذ نزوحهم من الأندلس هروبا من محاكم التفتيش، وكانت علاقتهم بالمسلمين في الجزائر تسودها المحبة وحسن الجوار والتعاون رغم قانون كريمو (1870)، وهو قانون صدر عن حكومة الدفاع الفرنسية يقضي بمنح الجنسية الفرنسية لليهود القاطنين بالأراضي الجزائرية المحتلة.

وفي ما يلي رصد لتشكلات صورة اليهود في واحد من الروايات الجزائرية المعاصرة "أنا وحاييم":

أ-حاييم: الشخصية الرئيسة في الرواية، واحد من يهود الجزائر، من خلاله يظهر الأديب عادات اليهود وتقاليدهم وطباعهم.

-حاييم طفلاً: الطفولة مرحلة مهمة في مراحل تكوين الفرد النفسية وسلوكه ونموه العقلي، لهذا حرص لحبيب السايح على تصوير هذه المرحلة روائياً من حياه شخصيته "حاييم بنميمون"، وكانت طفولة هذا الأخير عادية كأى طفل في بيئة جزائرية، حيث عاش في عائلة يهودية تحرص على احترام وتطبيق تعاليم الشريعة اليهودية وتعليمها لأولادها، وهذا أرسلان يتذكر طفولة حاييم يقول:»

سبحنا مرة عارفين فتكشف لنا ختننا»¹⁷ ، وهذه إشارة إلى الختان وهو من الشعائر اليهودية، يقرض على المواليد من الذكور في اليوم الثاني من ميلادهم، وهو علامة العهد الرباني كما جاء في سفر التكوين.

عرف حاييم تعاليم الديانة اليهودية واللغة العبرية على يد والده:» علمه العبرية وبها صار يقرأ

التلمود والتوراة»¹⁸ ، حيث تعلم لغة التوراة منذ الرابعة من العمر وكانت وسيلة يصلي ويدعو الله بها، وهذا ما سيظهر على هذه الشخصية طول الرواية فقد بدا متمسكا بتعاليم دينه، رغم نشأته الجزائرية في وسط أغليبيته من المسلمين. عاش حاييم طفولة سعيدة مع أبناء وطنه من الجزائريين، دون أي كره أو ضغينة، فلا يبدو على وسطه الأسري أي تعصب أو كره للعرب والمسلمين، حتى أن أغلب أصدقائه من أطفال المسلمين، خاصة أرسلان رفيق دربه المسلم، الذي امتلئ حيننا إلى شقاوة الصغر وألعاب الطفولة:» تعود إلى السنة الأولى من دخوله مدرسة جول فيري، أثارت حيني إلى جلوسه معه على طاولة واحدة، إلى رائحة الميصاد وطقطقة حطب المدفأة ورزة الجرس إلى زنقة

الدرب وساحة البلدية أيام الثلج وتترامى بكرياته إلى الوادي أيام القيظ»¹⁹ ، وكلها ذكريات تبين عمق العلاقة الروحية بين الطفلين العربي المسلم واليهودي، فلا تذكر الرواية أي خلاف ولا مشاجرات حصلت بينهما، بل العكس كانا حليفين دائماً في مشاجراتهما مع أطفال المعمرين.

- حاييم شاباً: شخصية إشكالية بينت تصرفاتها ومواقفها، طباع وشخصيات اليهود الجزائريين- من وجهة نظر الروائي- وقواسمهم المشتركة مع المسلمين في الوطن ذاته، يقول أرسلان الراوي:»

لذلك يسموننا أهل الحرام، العري حرام، الخنزير حرام وأكل اللحم من غير ذبح حرام»²⁰ ، وهي تعاليم مشتركة بين الإسلام واليهودية، أحيانا تقترب من التطابق في عادات الأكل والتصرفات، فقد

رفض حايم الأكل مع أبناء المعمرين، لأنه متمسك بتعاليم ديانتته السماوية وحريص على تطبيقه، فـ"التدين" أولى صفات حايم.

أليس حايم هو الحريص على قراءة كتابه المقدس؟، يقول الراوي: «يقرأ التلمود والتوراة مثلما تعلمت أنا العربية في الكتاب منذ أن بلغت الرابعة وبها حفظت سورا قصيرة من القرآن إلى

سن السادسة»²¹، وهي تصرفات اليهودي المؤمن بعقيده، حيث أن الجانب الروحي لهذه الشخصية تظهر في عدة تصرفات، منها تقديس يوم السبت، فهو مخصص للراحة في حياة اليهود؛ اعتقاداً منهم أنه اليوم الذي ارتاح فيه الخالق بعد أن أتم خلق الكون، جاء في الرواية: «يطلب إلي، أنا

تأخرت أن آتي معه لأوقد لهم نار السبت»²²، ويحضر اليهود للسبت منذ غروب شمس الجمعة، لهذا يحتاجون مساعدة جيرانهم المسلمين، فتشريعات اليهودية تقضي بعدم اقتراب المؤمنين بها من النار أو مصباح يوم السبت، وكان الجيران-المسلمون-يقدمون لهم يد المساعدة بكل ترحاب ومحبة. كما يجمع اللباس المشترك بين الجزائريين مسلمين ويهود، فلم يكن حايم يختلف عن إرسال في

شيء: «سروال عرب»²³، وهو لباس جزائري تقليدي يلبسه الرجال -عرباً ويهوداً- رفقة الطربوش أو الشاشية-قبعة صوفية- مع تميز اليهود بالألوان القاتمة في ملابسهم.

يظهر هكذا الآخر/اليهودي عند لحبيب السايح شخصية مسالمة في علاقتها مع الأنا/الجزائري المسلم؛ تميزت في الصداقة والتسامح الدائمين مع أبناء الطائفة، ثم مع ديانات كالإسلام، كما بين شخصية حايم التقاطع بين المسلم واليهودي، والتشابه في العادات والتقاليد، كما تميزت بحب الناس بغض النظر عن الطائفة والعرق.

ب- الأب اليهودي:

ارتبطت صورة اليهودي في الآداب عادة بشخصية المقامر، والمرابي والمخادع والعاشق للمال، وهكذا كانت صورة الرجل اليهودي سلبية تظهر في سلوكات سيئة وغير إنسانية، غير أن "موشي بنميمون" والد حايم ظهر بصورة مغايرة، فهو لا يختلف عن أي أب جزائري، وعلى قلة المواقف التي شكلتها الرواية فيه، ألا أنها كل مرة تبين طيبته وأصالته يقول الراوي: «والده تنقل بين أكثر من

حرفة كتاجر صوف وصايغ وجوهرات فضية»²⁴، والصياغة مهنة اعتاد اليهود على ممارستها، ويتبين من هذا أن موشي أب مسؤول عن عائلته لهذا فهو يكسب قوته بتعبه، أب حريص على تربية

أبنائه نشأة دينية، علم ولده-حاييم- اللغة العبرية والدين اليهودي، فهو أب جيد وتقي يحب دينه وعشيرته.

وموشي بنميمون صديق ورفيق "القائد حنفي" المسلم-والد أرسلان-، حيث لم يكونا يفترقان، ولا يختلفان في شيء ألا في تعاليم الدين "مع سواد الاحترام بين الأبين، فهو بهذا لم يختلف عن الآباء المسلمين، ومن أفضل الآباء، يقول:» إن السيدين حنفي والدي، وبنميمون والد حاييم لم يعترضا

كلاهما على قرارنا الذي كنا اتخذناه أسبوعا قبل»²⁵ ، عندما انتقلا إلى الثانوية بعيدا عن الأهل من أجل الدراسة، وهذا من باب دعم الآباء لأبناءهم، خاصة بعد انتقالهما إلى الجامعة حيث كان السيد "رامون بن كيكي" في انتظارهما وهو من معارف والد حاييم.

وقد وضع الكاتب من خلال أحداث الرواية الجانب المخفي في شخصية "موشي بنميمون"، ومن ورائه الطائف اليهودية، من خلال موقفه من قانون التجنيس اليهود، الذي لم يكن بإرادته، بل كان مضطرا لذلك من أجل ضمان قوت عائلته، يقول حاييم:» جادلت والدي يوما في أمر تجنسه فكان رده أنه فعل ذلك لأن العثمانيين، هنا، كانوا يهينون أجدادنا فكانوا يفرضون عليهم الجزية.

ويلزمونهم بلبس أثواب ذات ألوان صفراء»²⁶ ، وهو بهذا كان ملزما بالموافقة لكسب قوته وماء وجهه، ورفع ذل الجزية واحتقار العثمانيين للطائفة.

وهكذا تتواصل الصورة الايجابية والمتعاطفة للرجل اليهودي في رواية لحبيب السايح، حيث أخذ على عاتقه تبييض صورته، والدفاع عن اليهود من خلاله بتصويره بصورة الأب الطيب والحنون والتقي الحريص على حسن علاقته مع الآخر/المسلم.

5-1-2-اليهودية المرأة:

من تمظهرات الآخر/اليهودي في النص حضور الشخصية النسوية، بكل أشكالها من أم وزوجة وابنة وأخت....، إلا أن الحضور النسوي للمرأة اليهودية في رواية لحبيب السايح، تمفصل في نمطين هما "الأم" و"الحبيبة"

أ-الأم اليهودية: هي عماد الأسرة وأساسه، واليهودي من كانت أمه يهودية، أي أن الولد في هذه الطائفة يتبع دين أمه، حتى لو كان الأب من ديانة أخرى، وقد قدم الروائي هذا النموذج من خلال شخصية زهيرة والددة حاييم:» تبدو المرأة اليهودية ذات جمال مدهش وامرأة مليئة بالحب، تضحي بنفسها من أجل الآخرين، امرأة تعشق وتتبع في عشقها صوت قلبها، وهي تتخلى عن المعتقدات

القديمة، وعن شعبيها لتجد في النهاية الإنسان فيها²⁷ ، وهي صورة مثالية لامرأة مدهشة، من الصعب

تخيل كل هذه الصفات في امرأة يهودية تعيش في وسط مسلم، على عكس ما صورته بعض الأعمال الأخرى من القبح ودمامة الخلق، ما يميز أم حاييم باسمها العربي "زهيرة" وبلهجتها العربية، التي كان

يتحدث بها ولدها حاييم: «اللهجة العربية لأن أمه زهيرة كانت لا تكاد تتكلم غيرها»²⁸ ، وهذا ما يلمح إلى عدم تعصبا اتجاه العرب فهي تتكلم لغتهم، وتلبس لباس نسائهم.

يصف أرسلان والدته حاييم مشبها إياها بجدة "ربيعة": «وجدتها في نظرتها الطيبة والمسالمة وحلي

أذنها ورقبتها وشدة عصابة رأسها، تشبه جدتي ربيعة»²⁹ ، ويضيف حاييم: «أمي كانت لا ينقصها غير

الملحفة مثل جدتك وأمك»³⁰ ، أي لا تشبه نساء المعمرين الفرنسيين، ولا تريد أن تكون مثلهم رغم تجنس زوجها، وهذا ما يجعلها غير المختلفة عن نساء المسلمين في الطباع والأخلاق، وظلت لا تشعر

بأنها فرنسية³¹ ، حتى أنها كانت تتحمل تحرشات العسكر والمستعمرين، من سخرية ومضايقات واحتقار لأنها يهودية ولباسها مختلف عن لباس الأوروبيات، ثم لغياب زوجها وقيامها بالدورين - دور الأب والأم معا-، فلم يقدم الروائي بهذا غير الصورة الإيجابية الممجة للأم اليهودية.

وتبقى أدلة تسامح وتعاطف الروائي مع هذا النموذج تتوالى على مدى الحكمة الروائية، حيث عمد في الكثير من المواقف إلى مقارنة الأم اليهودية بالأم والجدة المسلمة، وتصوير صفاء العلاقة بينهما: «أمس فقط كنا ندخل داري عائلتنا العامرتين. جدتك وأمي تتزاوران وتتبادلان أطباق الأكل

والتحيات والتهاني في عيد الفطر كما في يوم كيبو»³² ، ولا يؤكد علاقة التسامح والأخوة بين أفراد الطائفة اليهودية والمسلمين خاصة من النساء، الحريصات على تطبيق الشريعة وممارسة بالعادات والتقاليد والاهتمام بالمناسبات الخاصة بكل دين وجماعة بشرية، وهكذا فالأم اليهودية في رواية "أنا وحاييم"، تشابه أمهات الجزائر جميعها، امرأة مضحية ومحبة لولدها وحنونة اتجاهه، بل أنها مودع أسرارته وشكواه، كما إنها طيبة العشرة مع جيرانها المسلمين ومع أبناء عشيرتها وطائفتها.

ب- الحبيبة اليهودية: نموذج الحبيبة مكمل للنموذج الأساسي "الآخر/اليهودي"، وممثل للمرأة اليهودية، لكن من النماذج المنبوذة والمسكوت عنها في الثقافتين المسلمة واليهودية هو "العشيقة"، وهي حبيبة حاييم "كولدا وفاييل" ومعشوقته، يقول عنه أرسلان: «كان حاييم في حالة هادئة ذكرتي بحالة فرحه وهو يخبرني، لما كنا في الطور الثانوي، عن رسالة جديدة من كولدا استلمها ضمن

البريد المحفوظ من مدينة معسكر»³³ ، فهي حبيبة من أيام الثانوية بـ"باستور بوهرا"، حتى أنه

حبها سكنه منذ الطفولة، جاء هذا النموذج النسوي بطريقة مغايرة عن سابقة، فهو يحمل صفات التحرر والتنكر للقيم والعادات، إذ اتخذت من عمرها وكعها العالي ومستوى معيشتها المرفه وسيلة للتكبر واحتقار الناس، بل إنها أصبحت أشبه بالأوروبيات وأقرب إلى الفرنسيات المتحررات منها إلى بنات طائفها:» كانت من أفراد تلك الطائفة الذين صاروا ينعتون بالمتحررين، مثلهم مثل المندمجين

من أبناء الأهالي وبناتهم مسلمين ويهودا³⁴، فهي تلبس لباس الأوروبيات وتتصرف تصرفاتهم، ولا تعير اهتماما لتعاليم دينها وطائفها ومذهبها، ورغم الاختلاف العميق بينها وبين حاييم؛ إلا أنه كان متعلقا بها ومتيما بحبها.

تتصف الحبيبة اليهودية بصفات عدة-كلها سلبية- أهمها "التكبر" فهي ترفض أن تكون من الأهالي، ولا أن تختلط بهم تقول:» إنها لن تدرس مرة أخرى في مدرسة يوجد فيها الأنديجان» (السايح، 2018، صفحة 244)، وحتى أن غرورها جعلها تستعلي على أبناء عشيرتها من الفقراء، وتندمج بالمقابل في مجتمع المعمرين الغربي، وتصرح بذلك مباشرة لحبيها حاييم محاولة اجتثائه من أبناء وطنه وشعبه يهودا ومسلمين، تقول:» مواطنة مثل الأنديجان؟ يا للمأساة، تعني دمية حديد، تعني أن تصبح واحدة من نساءهم اللاتي يعشن في رؤوسهم الجهل والتخلف والحمق؟ لا يا

سيد حاييم كن أنت وحدك المواطن الجديد في هذا البلد الملعون³⁵، حيث جاء هذا النموذج مختصرا لصفات سلبية كثيرة تجسدت ظاهريا في التكبر والاستعلاء، وباطنيا في الصهيونية والعدائية.

حملت كولدا دعما كبيرا للصهيونية، هذا ما جعلها تحاول إقناع حاييم بالتنكر لجزائريته واعتناق الفكر الصهيوني، والمساهمة في تكوين وطن قومي لليهود، والالتحاق بالأراضي المقدسة- حسب زعمها- تقول:» كيف ليهودي مثلك أن يرهن شرفه ودينه وحياته لهؤلاء! الحثالات وفوق ذلك

يتواطأ مع قتلهم من الفلاحة³⁶، لكن هذه الشخصية في مواقفها مع الشخصية اليهودية الرئيسية أثبتت صدق الأولى وإخلاصها لوطنها وشعبها:» أين تريدني أن أغادر؟ هنا وطني هذا

وطني....فلسطين ليست أرضي ولا وطني³⁷، وهكذا كانت تصر وتحاول ووصلت إلى أن اشترطت على حاييم الرحيل إلى أرض الميعاد لكي تتزوجه، مغريه إياه بالأمل والوعارات والأراضي التي سيجدها في أرض الميعاد.

وكانت شخصية الحبيبة تتطور في مواقفها مع تطور الحدث، مساهمة في تطور الشخصية اليهودية الرئيسية "حاييم"، حيث كانت هذه الأخيرة في كل مرة تظهر تمسكها بوطنها "الجزائر"، إلى درجة التهديد حيث لجأت كولدا إلى التهديد: «أعرف، أني أعرف كل شيء. ستدفع الثمن! فواجهها بانفعال "الآن تهديني! فقابلته، يتعال ساخر: فمن أين وصلت إذا تلك الأدوية إلى الفلاحة في الجبل

إن لم تكن من صيدليتك»³⁸، وعمدت هذه الحبيبة إلى تهديد حاييم بفضح تعاونه مع الثوار الجزائريين، ومساعدته إياهم بالأدوية، ثم تعمدت حرق صيدليته بدافع الانتقام بعد أن فضل البقاء في الجزائر على الهجرة رفقتها إلى الكيان الصهيوني.

وهكذا جمعت هذه الشخصية التكبر والغرور بالعنصرية والسادية، وكانت النموذج السلبي الوحيد في الرواية، حيث أظهر الكاتب تعاطفه مع الأم اليهودية في كدها وتعبها من أجل أولادها وحسن جوارها مع المسلمات، بينما بين أظهر الكاتب موقفا شديدا مع نموذج الحبيبة لأنها جاءت ممثلة لنموذج الصهيوني والعنصري والسادي.

5-2- صورة الآخر اليهودي في رواية الخلان لأمين الزاوي:

جاء اليهود إلى الجزائر من الأندلس ليستقروا بها، فقد أتى حوالي عشرات الآلاف من يهود الأندلس، متخذين من المدن الجزائرية كتلمسان ومعسكر والعاصمة وقسنطينة مركزا أساسيا، والقليل منهم فقط من ذهبوا إلى الواحات الصحراوية جنوب الجزائر، واشتهرت الجزائر بالحارات اليهودية، وهي تجمعات عمرانية انشأت على أساس ديني، أقامها اليهود الجزائريون حفاظا على خصوصياتهم، وهذا ما أدى للحكم عليهم بأنهم منعزلين ومنغلقين على أنفسهم.

لقد شكل الآخر اليهودي عنصرا مهما في رواية الخلان، لأمين الزاوي ومن المعروف أن اليهود كشعب يتميز بالاستعلاء عن باقي الشعوب الأخرى، وخاصة المسلمين من الأقوام حيث يكونون لهم العداء الشديد. ولا يفشى سر إن قلنا بأن حضور الآخر اليهودي في الأدبيات الغربية والعربية على السواء، كان محكوما في الغالب الأعم بصورة موهلة في السلبية والقبح: «فمن الصور الأساسية في أدبيات معاداة اليهود تصويرهم على أنهم شياطين، فالشر لصيق بطبيعتهم، فهم يخربون أي

مجتمع يعيشون في كتفه، وهم يحكون المؤامرات عبر التاريخ للقضاء على الجنس البشري»³⁹، وقد ميزت هذه الصورة الكثير من الأعمال الأدبية الغربية مثل أعمال شكسبير وديستوفسكي.

أما في أدبنا العربي فنلاحظ حضوره كعدو مستعمر ومدمر، على قلة النصوص التي تناولت هذه الطائفة! ومن هنا جاء تناول رواية الخلان، وتعاطفها مع الآخر اليهودي مغايرا لما اعتدنا عليه، صانعا

بذلك نموذجا جديدا وجزئيا للشخصية اليهودية في الرواية العربية، وذلك من خلال شخصيات متنوعة في الرواية.

5-2-1- اليهودي الحكيم:

ذكر لنا أمين الزاوي في روايته الخلان شخصية اليهودي الأول في الجزائر، كأول يهودي يضع الأساس على هذه الأرض، ويقيم بحاراتها رفقة إخوانه وبني جلدته، كان مجيء اليهودي جد زمرمان إلى الجزائر فرارا من أرض الأندلس، بعد أن تعرضوا فيها إلى أشد أنواع التعذيب والتنكيل، يقول أمين الزاوي: «جاء من الأندلس على إثر المتابعات والتعذيب والتقتيل التي لحقت بيهود قشتالة من العلماء ورجال الدين والفلاسفة والتجار والحرفيين والفنانين، في حى هذه الكراهية تعرض الحكيم النقاوة صاحب مع كتبه في الساحة العمومية، وعلى إثر ذلك هرب الإبن أبراهام إلى بلادنا

مزغنا وهي أرض الأمازيغ الشجعان⁴⁰، فقد طالت عمليات التقتيل الفئة المثقفة والعلماء ذات الأثر القوي في المجتمعات، كما أرادوا التخلص من هذه الجماعة للإطاحة باليهوديين وإبادتهم لتصبح الأندلس أرضا مسيحية خالصة.

وقد أورد أمين الزاوي قصة الحكيم "أبراهام النقاوة" في وصوله إلى مدينة تلمسان والإقامة داخل أسوارها، وهو الذي كان سببا في شفاء ابنة السلطان الوحيدة، هذه الأخيرة التي لم يوجد لها دواء ولا شفاء إلا على يد الحكيم أبراهام وهكذا: «استقبل الحكيم أبراهام النقاوة من قبل السلطان المنصور في الباحة المركزية لقصر المشور، والتي يظللها شجر الكرز أو "حب الملوك" كما يسميه أهل حاضرة تلمسان وعلى الفور عرض عليه الأميرة وهي في حالة يأس تشرف على

الموت...ولم تطل بها الأيام كثيرا حتى عادت إلى حياتها الطبيعية»⁴¹، فبفعل فطنة الحكيم وقدرته على الاستشفاء ومعرفة الأمراض وتشخيصها، استطاع مداواة ابنة السلطان الوحيدة والحصول على تقدير واحترام السلطان له، وعشيرته شفاء الأميرة وسعادة السلطان بذلك، جعل منه يطلب من الحكيم أبراهام النقاوة أن يطلب ما يشاء ليحقق له ذلك، وبهذا استطاع الحكيم أبراهام النقاوة الحصول على مكان له ولبني جلدته للإقامة فيه، فكانت تلمسان هي ملجأهم الأول في الجزائر.

عاش أبراهام النقاوة في تلمسان وكان طبيب الأسرة الحاكمة إلى أن توفي وأصبح قبره ضريحا ومزارا لليهود لطلب الشفاء من أي مرض: «وتحول الضريح مزارا لليهود والمسلمين طلبا للشفاء من أي مرض...ومع مرور السنين غدا الضريح مكانا مقدسا يحج إليه من كل أصقاع الدنيا طلبا

⁴² للبركة» ، هذا الاحترام والتقديس الذي تحصل عليه الحكيم أبراهام النقاوة، كان نتاجا عن حكمته وبعد نظره وتحمله عبئ بني جلدته وبحثه عن ملجأ يأويهم، تحت ظل الأمان في مدينة تلمسان بأرض الجزائر.

قدم لنا أمين الزاوي صورة اليهودي الحكيم في شخصية الحكيم بصورة جد محترمة، فقد جسد هذا الرجل كل معاني المساعدة والإخلاص والحب بتحملة مسؤولية وحمل عبئ أبناء جلدته على عاتقه، وعدم التواني في العمل والكد وكسب الإحترام من أجل تأمين مكان يلتجأ إليه إخوانه اليهود، بعيدا عن النظرة النمطية التي سادت اليهود من تكبر واستعلاء والإغلاق على أنفسهم.

2-2-5- اليهودي الإنساني:

صور أمين الزاوي في روايته "الخلان" شخصية اليهودي الإنساني الذي يولي للعلاقات مع الأنا أهمية كبيرة، واتسمت بالود والتعاطف من غير حواجز وحدود بينهم، كما أنه إنسان ناجح في حياته وعمله وهو رئيس أوفولاي في عمله، لا يكن نحو الأنا الجزائري وخاصة أوفولاي أية ضغائن أو أحقاد، وهذه الشخصية تتمثل في النقيب "ليفي النقاوة زممران" تميزت شخصيته بالقوة والمسؤولية والمساعدة للآخرين، مهما اختلفت جنسيتهم أو أصولهم.

وكان زممران ذو إنسانية عالية، مجتهد وجاد في العمل، يقول الزاوي: «الملازم ليفي النقاوة

⁴³ زممران المسؤول المباشر عن الثكنة، عسكري صارم منضبط، قليل الكلام» ، هو يؤدي واجبه على أكمل وجه، ورغم طبيعة عمله والصعوبات التي تواجه منصبه، هذا الأخير الذي يضيف عليهم صفة التسلسل والتعالي، خاصة على الأهالي، هذا ما لم يطبع شخصيته، بل كان يعطي كل ذي حق حقه، دون النظر إلى مكانة الآخرين، تقول الشخصية الساردة: «كان النقيب يستمع لما أقوله باهتمام، ويسجل بقلم رصاص بعض الملاحظات على ورقة بيضاء، والملف لا يزال مفتوحا تحت

⁴⁴ عينة» ، وهذا دليل على أنه يولي اهتماما كبيرا بعمله، فهو حريص على إتمام جل أعمالهم إهمال أو تأجيل، مما أكسبه الاحترام والتقدير داخل الثكنة العسكرية، فالنقيب "ليفي النقاوة زممران صورة حية للإنسانية في رواية الخلان، جسدها أمين الزاوي من خلال تعاطف ليفي مع الأهالي:

⁴⁵ «هؤلاء الشباب هم ضحايا العزف والمسح، علينا أن ننقدهم قبل فوات الأوان» ، فعلى الرغم من مكانته ومنصبه داخل الثكنة، الذي يفرض عليه عدم الالتفات إلى هذه الفئة إلا أنه كسر هذه الحواجز بين مكانته ورتبتهم، متجها نحو منحي آخر وهو تكليف نفسه عبئ هؤلاء الأهالي والتخطيط

لتأمين لهم مستقبل أفضل بعيدا عن هذه الثكنة التي أجبرتهم الظروف وضعف حيلهم الالتحاق بها.

إذ لم يتوانى اليهودي ليفي النقاوة في تقديم يد المساعدة للأهالي ودعم عدالة القضية الجزائرية، خاصة بعدما شاهده من ظلم واستبداد مسلط من طرف فرنسا على الجزائريين: «بعد تفكير وتمحيص وتأمل دام شهورا، وأمام ما رأيت من تعذيب وحشي وتنكيل وتصفيات لحقت بأبناء هذا البلد دون تمييز، هم أبناء بلدي، هم أهلي، حتى وإن كنا من عقيدتين مختلفتين، فالبلد هو من

يجمعنا في الحب والحرب والعمل والبناء»⁴⁶، فقد حز في نفسه أن يرى كل هذه القساوة الموجهة إلى الأهالي، فهم أصحاب الحق المسلوب طرف الغاصب المستدمر.

ودفعت إنسانية زممران به لاتخاذ قرار حاسم حول مكانه داخل المستعمر العنيف والانفعال عنه نائرا بذلك على هذه المبادئ الخاطئة: «قررت العصيان العسكري وبالتالي تغيير موقعي من

معسكر القوي إلى معسكر صاحب الحق، قررت العودة إلى معسكري معسكر الأهالي»⁴⁷، فمكانة زممران داخل الثكنة العسكرية والنفوذ التي يملكها لم تغريه أو تبعده عن إنسانيته، التي ظل متمسكا بها إلى آخر لحظة في حياته رافعا راية الحق ساعيا إلى تحقيق العدالة.

صور أمين الزاوي الرجل اليهودي الإنساني في نموذج النقيب "ليفي النقاوة زممران"، فقدمه في صورة تختلف جليا عن اليهود باعتبارهم حاقدين على الآخر ويحملون سوى الكره والعداوة اتجاه الأنا المسلم "فليفي النقاوة" رجل إنساني يحمل في شخصيته كل معاني الإنسانية واحترام الآخر ومحاولة تقديم المساعدة للجزائريين على الرغم من اختلاف العقيدة بينهم كاسرا بذلك النموذج النمطي المعروف عن اليهوديين.

5-2-3- اليهودي الوطني:

من المعروف أن الوطنية لصيقة بالمواطن، والذي يسعى فيها إلى حماية بلده والدفاع عنه مهما كلفه من ثمن، وخاصة أنها تكون نابعة من حب الوطن، لكن من غير المعقول أن تتصور يهودي يدافع عن أرض الجزائر بكل شغف وحب وسكانها مسلمون، وفي رواية الخلان" نجد أمين الزاوي يصور لنا اليهودي الوطني الذي يدافع عن أرض الجزائر خلال فترة الاستعمار معتبرا إياها بلده الأم، فكان هذا التصوير متمثلا في شخصية النقيب ليفي النقاوة زممران.

حب زممران ووطنيته للجزائر لم تكن مجرد صدفة، وإنما لاعتباره إياها بلده الأم، الم يأتي جده أبراهام النقاوة إلى الجزائر فارا إليها من الأندلس، تقول الشخصية اليهودية في رواية الزاوي: «رأيت

جدي الأول أبراهام النقاوة" ينهض من قبره المبارك بتلمسان ويوقظني من نومي قائلا: « عليك أن تلتزم يا ليفي بمعسكر الضعفاء من أهل بلدك، تلمسان بلدك، فيها بنيت أول معبد وفيها رفعنا أول صلاة، هي قدس إفريقيا الشمالية يا بني لا تفرط فيها، هي من احتضنتنا تراثها وحمانا جدارها حين

⁴⁸ ضاعت بنا السبل جميعها» ، فالجزائر هي الحوض الآمن لليهود بعد أن لجؤا إليها حين ضاقت بهم السبل، ولم يجدوا لأنفسهم مكان يأويهم سوى أرض الجزائر، لذلك فقد اعتبرها اليهود موطنهم ومن بينهم النقيب زمرمان، والذي سرعان ما تفتن إلى أنه ينتمي للمعسكر الخاطئ ويجب عليه الالتحاق بمعسكر الأرض مع أبناء وطنه.

أما قرار ليفي النقاوة زمرمان" في الالتحاق بالثورة الجزائرية المسلحة لم يكن يخصه وحده فقط، بل أخذ معه من رآهم يملكون الغيرة ذاتها على أرض الجزائر من "أوغسطين قيران المسيحي والجزائري" أفولاي رشدي، والكثير من شباب الأهالي المجندين، الذين كان هدفهم الوحيد هو تحقيق العدالة ووضع حد للظلم: «ليس أمامنا وقت تضيقه يا أغسطين، علينا أن نهرب معنا هؤلاء الأهالي بأسلحتهم التي سنتركها بحوزتهم هذه الليلة...علينا العودة إلى مواقعنا الحقيقية، موقعنا

⁴⁹ الحقيقي يجب أن يكون إلى جانب الأهالي» ، فقد استعمل النقيب ذكاه في اختيار الأشخاص الذين لامس فيهم الوطنية، وبغضهم لهذا الظلم والإستبداد، ومن كانوا يريدون التخلص من هذا الوضع المسيء لهم.

بعد التحاق ليفي النقاوة زمرمان" بجهة التحرير الوطني، كان هدفه السامي والوحيد، هو الدفاع عن هذه الأرض الطاهرة، فسخر كل إمكانياته المادية واللوجستكية لخدمة الثورة، خلال معاركهم مع المستعمر، فبعد نجاح العمليات العسكرية التي خطط لها، توالى النجاحات والانتصارات في جل المعارك التي ساهم فيها "ليفي النقاوة"، فأفاد بخبرته وحنكته العسكرية في مجابهة العدو والإطاحة بمؤامراته.

لم تكن مسيرة ليفي الثورية طويلة على الرغم من أنها توجت بالنصر في أغلبها، إلا أنه لقي حتفه في إحدى المعارك التي قادها، فسقط شهيدا للوطن: «جاءنا الخبر...كان اليوم باردا، والخبر صاعقة، خبر استشهاد ليفي النقاوة زمرمان في واحدة من المعارك التي قادها غير بعيدة عن القرية

⁵⁰ التي ولد فيها، قرية الحناية ضد مفرزة من العسكر الإستعماري بمكان يسمى "حبل عصفور" ، خسارة هذا المجاهد الوطني الثوري اليهودي، كانت قوية وفادحة في صفوف جيش التحرير الوطني، خصوصا وقد كان له الدور البارز في تحقيق عدة انتصارات، والإطاحة بالمستعمر لمعرفته بثغرات

هذا الأخير، وكيفية تفكيره، وهو الذي يعرف جيدا تضاريس مختلف مناطق الجزائر خاصة الغربية منها.

وهنا نجد الروائي يصور لنا اليهودي الوطني الذي ضحى بنفسه من أجل الجزائر، وسعى إلى مواجهة المستعمر ومحاولة إسقاطه في معظم المعارك التي قادها، رافعا راية الجزائر راية الحق وإسقاط راية العدو الظالم، إلى أن وافته المنية وسقط شهيدا للوطن، الوطن الذي اعتبره هو وعائلته وبني جلدته وطنهم الدائم، وطنهم الحبيب، بصورة تختلف عن الصور الدارجة في الروايات العربية عن اليهود، وبغضهم للأنا المسلم.

من خلال هذه الرواية "الخلان" نلاحظ "أمين الزاوي" محملا إياها دلالات إيجابية عن اليهود، تختلف عن الصورة النمطية التقليدية المستقرة لليهود، طارحا بذلك رؤية مغايرة نحوهم، وعن الصورة الدموية والاستعلائية، وربما يرجع ذلك إلى ميل الكاتب للمهادنة والسلام مع الآخر اليهودي، وتغليب النظرة الإنسانية والوطنية الشاملة على النظرة الدينية أو الإيديولوجية، رغبة منه في التقارب والاندماج بدلا من العنف والصراع الأزلي مع هذه الطائفة الدينية.

6- الخاتمة:

تخلص هذه الدراسة إلى مجموعة نتائج هي:

- ارتباط الآخر بالأنا الدائم، فالعلاقة بينهما تبادلية، وما صورة الآخر إلا انعكاس لمشاعر الأنا وتصوراتها الموروثة والمكتسبة، صورة متشكلة من خلال الشخصيات الروائية.
- استخدم الكاتب الروائي الجزائري أساليب مختلفة في تشكيل صورة الآخر اليهودي، تراوحت بين الاعتراف والوصف والتصريح.
- صورة اليهودي في الرواية الجزائرية "إيجابية" في المجمل، قائمة على التسامح والحوار والتعايش مع الأنا، توضح انفتاح الآخر وتحضره.
- كسرت الرواية الجزائرية المعاصرة الصورة النمطية الموروثة عن الشخصية اليهودية، الناتجة عن قلة الاتصال وعدم التواصل.
- عبرت الصورة الايجابية لليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة عن إعجاب الروائي بهذا الآخر؛ الذي يصل لدرجة الانبهار بشخصيته وتصويره بأحسن صورة في مقابل الصورة السلبية للأنا-عند الزاوي خاصة- التي تلمح إلى انغلاقه وعدم تقبله للآخر دينيا وعرقيا، وهي صورة ذاتية لا تعبر عن الشعور الجمعي الجزائري.

7- قائمة المصادر والمراجع:

7-1- المصادر:

- الحبيب السايح: *أنا وحاييم*، دار ميم للنشر الجزائر، 2018.

- أمين الزاوي: *الخلان*، منشورات الاختلاف، الجزائر- بيروت 2019.

7-2- المراجع:

- جابر عصفور: *المرايا المتجاوزة، دراسة في نقد طه حسين*، دار قباء القاهرة، 1998.

- حسن العويدات: *الآخر في الثقافة العربية من مطلع القرن العشرين*، دارالساق، بيروت، 2010.

- سعد فهد الدويخ: *الآخر في الشعر العربي*. عالم الكتب الحديث أربد، الأردن، 2009.

- سيغموند فرويد: *الأنثى والهو*، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق بيروت- القاهرة، ط4، 1982.

- عبد الرحمان بدوي: *دراسات في الفلسفة الوجودية*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 1980.

- عبد المجيد حنون: *صورة الفرنسي في الرواية المغاربية*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986.

- الوهاب المسيري: *اليد الخفية -دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية* القاهرة، مصر: دار الشروق ط2، 2001.

-مالك بن بني: *ميلاد مجتمع (مشكلات حضارة)*، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر. الجزائر -دمشق، الجزائر- سوريا: ط3، 1986.

7-1-2- المعاجم:

- لويس معلوف: *المنجد في اللغة والعلوم دار المشرق والمكتبة الشرقية*، بيروت، لبنان 1991.

- الفيروز أبادي (مجد الدين أبي طاهر): *القاموس المحيط* (الإصدار 3، المجلد 1)، القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.

- *المعجم الوجيز*: مجمع اللغة العربية، الإصدار 1، القاهرة، 1980.

--ابن منظور (محمد): *لسان العرب*، (المجلد 13) بيروت، دار صادر

8-الهوامش:

1 -ابن منظور (محمد): *لسان العرب*، (المجلد 13) بيروت، دار صادر، ص ص 12، 13

2 - الفيروز أبادي(مجد الدين أبي طاهر):*القاموس المحيط* (الإصدار 3، المجلد 1)، القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ص 360.

- 3 - *المعجم الوجيز*: مجمع اللغة العربية، الإصدار 1، القاهرة، 1980، ص 5.
- 4 - لويس معلوف: *المنجد في اللغة والعلوم* دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، لبنان 1991، ص 19.
- 5 - سعد فهد الدويخ: *الآخر في الشعر العربي*. عالم الكتب الحديث أربد، الأردن: 2009، ص 5.109.
- سيغموند فرويد: *أنا والهو*، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق بيروت- القاهرة، ط4، 1982، ص 16.
- 7- عبد الرحمان بدوي: *دراسات في الفلسفة الوجودية*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 1980، ص 90.
- 8- المرجع نفسه. ص 94
- 9- حسن العويدات: *الآخر في الثقافة العربية من مطلع القرن العشرين*، دارالساق، بيروت، 2010، ص 19.
- 10-المرجع نفسه، ص 93
- 11 - عبد المجيد حنون: *صورة الفرنسي في الرواية المغربية*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص 61.
- 12 - جابر عصفور: *المرايا المتجاوزة*، دراسة في نقد طه حسين، دار قباء القاهرة، 1998 ص 90.
- 13- عبد المجيد حنون صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 68
- 14 - المرجع نفسه، ص ص 61، 62.
- 15-المرجع نفسه، ص 69
- 16 -المرجع نفسه، ص 69
- 17 - الحبيب السايح: *أنا وحاييم*، دار ميم للنشر الجزائر، 2018، ص 13
- 18- *أنا وحاييم*، ص 18
- 19- أنا وحاييم، ص 13
- 20- أنا وحاييم، ص ص 33، 34
- 21- أنا وحاييم، ص 323
- 22- أنا وحاييم، ص 147
- 23 - أنا وحاييم، ص 157
- 24- أنا وحاييم، ص 94
- 25 - أنا وحاييم، ص 20
- 26- أنا وحاييم، ص 206
- 27 - أنا وحاييم، ص 13
- 28 - أنا وحاييم، ص 13
- 29 - أنا وحاييم، ص 13
- 30 - أنا وحاييم، ص 77
- 31 - أنا وحاييم، ص 78
- 32 - أنا وحاييم، ص 176
- 33- أنا وحاييم، ص 122
- 34 - أنا وحاييم، ص 158
- 35 - أنا وحاييم، ص 258

-
- 36 - أنا وحاييم، ص 258
- 37 - أنا وحاييم، ص 162
- 38 - أنا وحاييم، ص 258
- 39- عبد الوهاب المسيري: *اليد الخفية -دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسريّة* القاهرة، مصر: دار الشروق، ط2، 2001، ص 45.
- 40- أمين الزاوي: *الخلان، منشورات الاختلاف، الجزائر- بيروت 2019، ص ص 33، 34.*
- 41 -الخلان: ص ص 135، 136.
- 42-الخلان، ص 136.
- 43-الخلان، 120
- 44-الخلان، ص 68
- 45-الخلان، 206
- 46-الخلان، 206
- 47-الخلان، 207
- 48-الخلان، 208
- 49-الخلان، 207
50. -الخلان، 232.